عمران عبدالعالي AMRANE ABDELALI

طالب دكتوراه بشعبة التاريخ – جامعة شعيب الدكالي بالجديدة

عنوان المقال:

الحركات السلطانية زمن الحسن الأول: التنظيم، الاحتفالية والفرجة وعلاقتها بالمقدس.

Sultanic Campaigns in the Era of Hassan I: Organization, Festivity, Spectacle, and Their Relationship to the Sacred

منشور في مجلة الاعتصام

مجلة علمية محكمة للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن المركز الوطني للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الثاني: يونيو 2024م، دار الأمان للنشر، الرباط.

رقم الإيداع القانوني: 2024E0010 ISSN: 3009-5654

تقديم:

إن الدارس لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر يعي جيدا شدة التمردات والانتفاضات الشعبية، التي ساهم في إيقاد نيرانها، وتأجيج لهيبها، ونشر فتيلها أهل الحواضر والبوادي على السواء، لكن يمكن القول على أن تلك التمردات التي عرفتها حواضر مغرب القرن التاسع عشر لم تكن بتلك الضراوة التي عرفتها القبيلة /البادية المغربية، فكلما ابتعدنا من المركز إلا وتضاءل نفوذ المخزن على القبائل البعيدة عن سلطته، وانتشرت "السيبة" وكثر قطاع الطرق، وامتنعت القبائل عن أداء الضرائب، وتنكروا لارتباطهم بالسلطة المخزنية، بل حاول بعض المتمردين كبوعزة الهبري والروكي بوحمارة الدعوة لأنفسهم.

ونتيجة لهذا برزت لنا ثنائية " بلاد المخزن" و " بلاد السيبة "؛ فالأولى مكونة من المناطق التي يحكمها السلطان وخاضعة لنفوذ وسلطة المخزن، هذا و قد كانت هناك قبائل غارمة تؤدي الضرائب بكل أنواعها، و قبائل أخرى (قبائل الجيش و الزوايا) أي المسجلة في ديوان العسكر، وهي المعفية من الضرائب،[1] بينما تشكل "بلاد السيبة" القبائل المتمردة عن سلطة المخزن، وهي كتلة شديدة المراس تنتشر في الجبال والمناطق الهامشية، أي بعيدة عن المركز، تتحدى السلطان، وتقف عثرة أمام جنوده.[2]

يورد أوجين أوبان Eugéne Aubin أن التمييز بين بلاد السيبة وبلاد المخزن يقوم على ثلاثة معايير، وهي أداء الضرائب، وتعبئة حراك يساهمون في الحركات والحملات العسكرية التي ينظمها السلطان، وضمان أمن الطريق للسلطان وممثليه أو محمييه.[3]

أمام هذه الأوضاع الشائكة كان لزاما على المخزن أن ينظم حركات / محلات سلطانية لتأديب هذه القبائل الممتنعة عن أداء الضرائب و ردع المتمردين، وقد ظلت الحركات السلطانية تطلع بأدوار هامة في استتباب الأمن

[1] " le régime des Investissement au Maroc", Emanuel Lamy, **dans revue économique franco– suisse**, n°4, 1953,p. 213.

[2] دراسات في تاريخ المغرب، جرمان عياش، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، الطبعة الأولى، 1986، ص. 145.

[3] بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، عبدالأحد السبتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2009، ص. 239.

في البلاد وإخماد الفتن والقلاقل. وتصبح الحاجة أكثر إلحاحا الى خدمات الحركة في المناطق النائية البعيدة عن سلطة المخزن، التي لا يستقر فيها أمر الأحكام لأسباب عديدة؛ مادية، جغرافية وطبيعية.[4]

تبرز الحركة السلطانية كصلة وصل بين الدولة والمجتمع وكمجددة لأواصر البيعة التي تربط السلطان برعيته، لكن تظهر في نفس الآن كمحور للاحتكاك والمواجهة بينهما، فكانت بمثابة مصدر ثقل خصوصا ما تتطلبه من مؤن وضرائب وأعمال سخرة وتأمين لطريق السلطان، فظهرت أمثال شعبية تصف هذه التعسفات؛ وهو ما أورده المودن الذي اعتبر أن الجيش معدود من الجوائح، والجوع من جيش السلطان.

وقد انبهرت الكتابة الأوربية بالمظهر الخارجي للتنقل السلطاني وبالأشكال التي ترسمها الحركة في المجال أثناء تنقلها، أو على طابع القوة والفخامة الذي توحي به المحلة السلطانية، أما المصادر التقليدية المغربية من حوليات ورحلات فإنها أولت لتحركات السلطان أهمية خاصة، لأنها اعتبرتها علامة على انتعاش لرسوم واقتصاد الدولة.

وقد جاءت ورقتنا هاته للإجابة على اشكاليات عدة أبرزها:

ـ ماذا نعني بالحركة السلطانية؟

ـ ما علاقة القبيلة بالمخزن في القرن 19م؟

. ما دور فن العيطة في التأريخ للحركات الحسنية؟

ـ وما التجهيزات العسكرية والتقنية التي ترافق الحركة السلطانية؟

ـ وما علاقة الحركة السلطانية بالمقدس؟

1. المدلول التاريخي للحركة أو المحلة السلطانية

الحركة هي كل تحرك مخزني، سواء صاحبته عملية عسكرية زجرية، أو لم تصاحبه أعمال عسكرية، و أساسا، هي كل تنقل لجهاز الدولة داخل البلاد وعلى رأسه السلطان، فقد كانت الحركة عبارة عن اتصال بالقبائل، وأخذ ضرائب متأخرة، بالإضافة الى تأديب قبائل متمردة، أما فيما يخص ظهور هذا المصطلح فيبدو

---

[4] الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، ثريا برادة، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1997، ص. 99.

أنه ليس وليد الحقبة الحديثة ولا المعاصرة من تاريخ المغرب، بل إن جذوره تمتد حتى العهدين المرابطي و الموحدي[5]، كما أن ظاهرة الحركات السلطانية لم تنفرد بها السلطة المغربية في ممارسة الحكم، وإنما يمكن أن نلاحظ ممارساته في عدة جهات من أقطار المغرب الكبير ولاسيما في تونس[6]، ويركبها الأمير لقبض المجابي والإتصال المباشر بمحكوميه.[7]

وكان المخزن يهدف من هذه الحملات إخضاع القبائل الثائرة على سلطته وتأديبها، ويعود بواجب بيت المال المفروض عليها[8]، فأصبحت الحركة وسيلة لتسيير شؤون البلاد، واستظهار قوة المخزن، والتمهيد للدخول في مفاوضات، وتجديد الروابط والوشائج بين عاهل البلاد والسكان.

تجدر الاشارة أن هناك فرق بسيط بين المحلة والحركة؛ فالمحلة تشير الى مكان الإقامة أي الحلول بموضع ما، أو الى جماعة أو قافلة أو جيش وقت المقام، أما الحركة فتحيل على المجموعة نفسها لكن حالة تحركها وتنقلها من مكان لآخر[9]، وبالتالي فالاختلاف يكمن في المقام والتحرك بالنسبة لنفس الحملة.

عموما فالحركات السلطانية هي شكل من أشكال ممارسة السلطة، والتي كانت تفرض على المخزن التنقل بين مختلف جهات البلاد لفرض وجوده وممارسة سلطته بشكل مباشر مع القبائل التي لا تنالها أحكام المخزن.

وكان نفوذ المخزن يرتكز على ثلاث أدوات وهي:

- الزعامات المحلية (الجماعة والزعماء المحليين).

- سلطة القواد.

- الحركات (إن فشلت المفاوضات واستعصى الأمر تتدخل الحركة).[10]

---

[5] البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل ايناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، عبدالرحمن المودن، منشورات كلية الاداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، الطبعة 1، ص. 307.

[6] "الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان 1889م " نموذجا"، حصول مراد، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، العدد 6، أكتوبر 2016، ص. 60.

[7] ، البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 307.

[8] المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873 . 1894 م، محمد العربي معريش، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة 1، 1989، ص. 63.

[9] البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 311.

[10] بين الزطاط وقاطع الطريق، السبتي، م س، ص. 243.

2ـ الترتيبات العسكرية والتقنية للحركة السلطانية.

تعتبر المحلة السلطانية كمؤسسة متنقلة في الزمن والمجال، تضم كتاب وجنود وأطباء وقياد ومسخرين...الخ، فالاستعداد للحركة خضع لاعتبارات سياسية ومعيشية، فقد كان المخزن يعد لها العدة، لما قد يكون لها من تأثير مباشر على نجاح أو فشل الحملة العسكرية.

وكان الشروع في الحركة يقع على الترتيب الآتي:

ـ إصدار الأمر الشريف للأمين بالشروع في صنع الخزائن والراويات[11] والبرادع.

ـ الكتابة لعمال الديارة بتوجيه التلاليس المعهودة من عندهم.

ـ أخذ بيان ما تحت يد عمال القبائل من الخيل والبغال والإبل.

ـ تكتب المكاتيب الشريفة بتسيير المؤونة للمحلة في الطريق التي يكون المرور عليها.[12]

كان تقدم السلطان يكنفه ظل المظلة، تلك الشمسية الرامزة للسلطة، ثابتا كأنه تمثال فوق جواد أسود بديع[13]، وكان المخزن يحرص على أن تخيم المحلة أثناء الحركات بقرب القناطر للتحكم في المناطق الإستراتيجية، أما فيما يتعلق بنظام انطلاق الحركة، فيبدو أنه لم يكن هناك نظام معين لسيرها، فعادة عند عبور أراضي القبائل الثائـــرة تتكلف وحدات القبائـل بأخذ القيادة من أجل إجلاء كل المخاطر على جوانب المحلة، لكن عندما يخاف من المفاجآت من الخلف خاصة من القبائل المتمردة تعطى الأوامر لهذه الوحدات القبلية بالرجوع إلى الخلف، وعندما تكون هناك حرب ما فإنهم يكونوا دائما في الصفوف الأمامية. وفي أثناء سير الحركة[14]، كان مخيم الحركة يخضع لترتيب دقيق؛ ففي القلب قباب خليفة السلطان، وكبير المحلة، وبقية القواد، بالإضافة الى الشريف، وفي دائرة محيطة تبنى خيام العسكر، وعلى مسافة من هذه الدائرة يقيم حراك القبائل خيامهم وتعقد

[11] خزانات الماء.

[12] العز والصولة في معالم نظم الدولة، عبدالرحمن بن زيدان، الجزء 1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، ص. 189ـ190.

[13] على عتبة المغرب الحديث، فردريك وايسجربر، ترجمة عبدالرحيم حزل، منشورات دار الأمان، الطبعة الثانية، الرباط، 2011، ص. 80.

[14] الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر، حصول مراد، م س، ص.7.

السوق بالقرب منهم[15]، وقد توفرت فيها جميع شروط السوق التقليدية من تجار وكتاب عموميين ومجبرين وحكائيين وبهلوانيين ومروضي أفاع الخ...[16]

يورد صاحب كتاب " على عتبة المغرب الحديث" أنه في مؤخر أرفاك توجد بنيقة السلطان، وتحدها رحبة المدفعية، وقرب المدافع تأتي القبائل لتقديم البيعة والولاء، وإليه يقتاد السجناء ويؤتى برؤوس المتمردين المقطوعة، يقوم بتمليحها اليهود المكلفون بهذه المهمة ثم يرسل بها الى مختلف جهات المملكة لتعلق فوق أبواب المدن، فتكون شعارا للغلبة وعبرة لمن تسول له نفسه أن يخرج على السلطة الشريفة[17]، لكن الى أي حد تصح هذه الشهادة؟ وهل فعلا كان اليهود يقومون بتمليح الرؤوس المقطوعة؟ أسئلة و أخرى لا تسعفنا المصادر في كشف خباياها.

وعلى الجانب الآخر الغربي من أفراك يوجد "الروا" وهو فضاء فسيح تعقل فيه جياد السلطان وبغاله فتلبث في العراء، وما تبقى من الحيز الداخلي من المخيم يخصص لخدام بيت السلطان والجزارين والطباخين وخدم الحمام وخدم الشاي وخدم المظلة وخدم القوس و العازفين والسائسين والحمارين والعبيد الخ... وجميعهم يأتمرون بأوامر القياد.[18]

كان السلطان يحاول دوما الوصول الى أراضي القبائل التي يعتزم تأديبها وحملها الى الإذعان للأوامر المخزنية، في الوقت الذي تكون فيه سنابل الزرع وشيكة الإصفرار ولم يشرع بعد الأهالي في عمليات الحصاد والدراس، وهذا ما نلمسه من الجواب الذي رد به أحد القواد حيث كتب الى السلطان يقول" **ويعلم سيدنا أيده الله ابان البرد والثلج، والحركة بمفصلها، يكون الحال سخون، ويكون الزرع موجود، وما تاكل المحل**"[19]، وقد كان على السكان استقبال الحركة في حدود قبيلتهم وحمل أثقالها، ومصاحبتها وتوفير مؤونتها، حتى تغادر مجالهم ان كانت عابرة فقط، وحتى تقضي أغراضها إن كانت أغراضها في تلك القبيلة بالذات[20].

---

[15] البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 329.

[16] على عتبة المغرب الحديث، فردريك وايسجربر، م س، ص. 54.

[17] نفسه، ص. 49.

[18] نفسه.

[19] الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912، الشابي مصطفى، الجزء 2، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008، ص163-164.

[20] البوادي المغربية، المودن عبدالرحمن، م س، ص 334.

عندما يقرر السلطان بعث حملة ضد هذه القبيلة أو تلك يعين حركة ويكون واجبا على قواد القبائل الخاضعة المشعرين من قبل بتأمين وتقوية طريق المخزن[21]، وكان لزاما على القبائل أن توفر المؤونة والخيول[22] والبغال، ومن أشهر القبائل التي كانت تملك أحسن الخيول؛ قبائل بني حسن، وقبائل الشاوية وسوس ودكالة، والى جانب الخيل كانت البغال تلعب دورا مهما داخل تنظيم المحلة سواء لجر المدافع أو لحمل الخزائن والمؤونة، وكانت البغال المخزنية الفائضة عن الحاجة في الأوقات العادية توكل للقبائل، وقدرت البغال المخزنية في عهد مولاي الحسن المفرقة على القبائل بأربعة وثلاثين ألف بغلة، وكانت هذه القبائل تقوم بعلفها وإرسالها وقت الحركة[23].

الجدول 1: نموذج مؤنة حركتي وجدة والريف

المؤنة		شياه	سمن بالأرطال	دقيق بالأمداد	شعير بالأمداد	أو	نقد بالريال
حركة وجدة	الحركة	81	88	84	182		120
	كبيرها	3	10	6	30		
	مجموع 1	84	98	90	212		120
حركة الريف	الحركة	68	77	77	114		105
	كبيرها	2	4	4			
	مجموع 2	70	81	81	114		105
المجموع العام		1,54	179	171	326		225
المعدل		77	90	85	163		112،5

المصدر: البوادي المغربية، المودن، م س، ص 226.

---

[21] زمن المحلات السلطانية: الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و 1912م، أرنو لويس، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002، ص 17.

[22] أولى سلاطين المغرب عناية خاصة بالخيول، بل كانت رمزا من رموز حكمهم، يقول مويط J. Mouet في وصفه للمغرب " ان السلاطين يحبون أن يتملكوا الخيل الممتازة التي تحمل أسماء آبائهم، ولا يشعرون بسعادة أكبر من النظر الى خيلهم وهي تاكل، وهذه العناية الخاصة بالخيل تظهر من خلال العادات السياسية والاجتماعية في البلاد، فتقديم فرس كهدية للمخزن من طرف قبيلة ما يعتبر عنوان للطاعة، وكذلك اهداء دولة أجنبية خيلا للسلطان يعتبر من علامات الصداقة والاحترام، ويستقبلها السلاطين المغاربة بكثير من الحفاوة. الجيش المغربي و تطوره، ثريا برادة، م س، ص 178.

[23] الجيش المغربي وتطوره، م س، ص. 193.

كانت الحركة تصحب محفات (حاملات) لحمل المصابين، وجراحون " المعلمين الجرارحية " لمداوات الجروح، سواء كانت جروح الخيل أو جروح الجنود، وفي بعض الأحيان كان يستعمل الكي بالنار أو "التشراط"، أو استعمال الصابون البلدي والقطران لتضميد الجراح[24]، وقد كان تجهيز الجندي المغربي المرافق للمحلة السلطانية ينحصر أحيانا في هوارية من قرن ثور لوضع البارود، وزمزمية مليئة بالماء ووعاء من قزدير مليء بالزيت لدهن السلاح.[25]

3–الحركة السلطانية والتبرك بالصلحاء والشرفاء.

هذا وقد كان السلطان في طريقه أثناء الحركة –فضلا عن إدارة أمور القبائل وقبض الواجبات– يزور العديد من الأضرحة القريبة من المجال الذي يكون المرور عليه، وذلك للتبرك بأصحابها، ففي طريقه إلى تطوان عبر الشاون زار المولى الحسن الأول الصالح سيدي علي شقور، وتحدث معه و تبرك به، ثم قصد ضريح شيخ الجبل "عبد السلام بن مشيش، و كانت زيارته له يوم الجمعة.[26]

ويذكر لنا المؤرخ ابن زيدان في "الإتحاف"، أن السلطان وضع في ضريح الشيخ "عبد السلام بن مشيش" ألف ريا ل وطرف من الكتان، وقدم ذبائح[27]، وكثيرا ما كانت تسمى بعض المواضع في بعض المدن أو القبائل المغربية بأسماء مرفوقة باسم السلطان، نسبة إلى ذكرى توقف السلطان بإحدى الأماكن خلال إحدى حركاته.[28]

وفضلا عن ذلك، فإن الحركات حسب جرمان عياش لم تكن تكتسي بالضرورة طابعا عدائيا، فبالعكس، كانت القبائل تخصص للسلطان في غالب الأحيان استقبالا حارا، تغمرها الغبطة لاستضافة ذلك السلطان الذي يمتطي فرسه، والذي كان في أعينها شخصية مقدسة، وإذا كان يتعين معاقبة احدى القبائل على تمردها، فقد كان يتم اللجوء الى الدبلوماسية أكثر من القوة لإقناعها بدفع غرامة، ففي هذه الحركات التي تستغرق عدة أشهر تلعب المفاوضات دورا أوليا[29]، وقد كان يصحب الحركة شريف، يمثل بالنسبة للقبائل سلطة البركة التي

[24] الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، ثريا برادة، م س، ص. 182.
[25] نفسه، ص. 181.
[26] الحركات السلطانية، حصول، م س، ص. 8.
[27] اتحاف الناس بجمال حاضرة مكناس، ابن زيدان، الجزء 2، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة 1، 2008، ص. 262.
[28] الحركات السلطانية، حصول، م س، ص. 8.
[29] دراسات في تاريخ المغرب، عياش، م س، ص. 147.

تعزز أو تعوض سلطة المدفع في عدد من الأوقات بفعالية فائقة، ونستحضر في هذا الصدد استشهاد برسالة القايد موسى بن احمد حيث يصدر تعليماته بتأجيل العنف الى آخر لحظة، والاعتماد على الشريف المحلي، وقد كان الشريف يرافق الحركات والمحال أينما حلت وارتحلت[30]، ليس هذا فحسب بل ظل المخزن يعتمد على سلطة الزاوية نظرا لما لها من نفوذ معنوي وروحي و ثروة مادية للوساطة واستتباب الأمن.

4. حركة 1874م لإخماد ثورة المرابط بوعزة الهبري الدرقاوي أنموذجا.

وصل إلى مسامع المخزن أخبار متمرد يسمى بوعزة الهبري، و ينتمي إلى قبيلة هبرة التي يرتفع نسبها الى زغبة الهلاليين، وعرفوا في المنطقة الشرقية كمرابطين يصالحون بين القبائل وكانوا يتبعون الطريقة الدرقاوية، وكان الهبري إضافة الى كونه مرابطا، على اطلاع واسع بعلم النبات، وكان يستغل معلوماته ومعرفته الواسعة في علم النبات لمعالجة بعض أمراض مريديه، عن طريق ما يستقطره من تلك النباتات من مواد، ولعل هذا ما وصف به من سحر[31]، وشيع أنه مشعوذ يخط في الرمل[32]، وكثر الحديث عنه في نواحي تازة.[33]

أورد المودن على أن حركة المرابط بوعزة الهبري تبدو من خلال المصادر التقليدية كحركة " فتان" يتعاطى بعض السحريات، أو دجال من الدجاجلة، فتبعه بعض الأشخاص الذين لا شغل لهم، فاجتمعت عليه قبائل قد استمال قلوبهم بمهولاته ويذكرون عنه خوارق. [34]

ينفرد ابن زيدان بذكر أن الهبري قد ثار منذ عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1864.1865، وكانت حركته وقتها حبيسة الجهة الشرقية في أحواز وجدة، ويضيف أن جموعه قد شتت وخبا أمره، قبل أن يظهر مجددا عند تولي السلطان الحسن الأول.[35] وقد دعم الهبري تلك المؤهلات بأمرين لهما فعالية كبرى في المنطقة، حيث أعلن أن هدفه من القيام على السلطان هو الجهاد، بالإضافة الى أنه حصل على تحالف شريف إدريسي يدعى الشيخ سعيد بن أحمد السغروشني، وقد أورد المشرفي في هذا الصدد حكاية لها عميق الدلالة، فقد كان هذا الشيخ المعروف بالسغروشني يروي لأتباعه أن والده أوصاه بأن القادم عليه من الشرق والطالب إليه

---

30 البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 325.

31 نفسه، ص. 402.

32 المغرب عبر التاريخ، ابراهيم حركات، الجزء 3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1994، ص. 260.

33 الحركات السلطانية، أرنو لويس، م س، ص. 37.

34 البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 401.

35 نفسه، ص. 403.

السلهام الذي تركه له هو صاحب حاجتك، فاتبعه ولابد لك من الملك على يده[36]. ولم يكن صعبا على الهبري فيما يبدو أن يتقدم كصاحب السلهام مستغلا حكاية الشريف السغروشني.

في ضوء كل هذه المعطيات، نفهم الشعبية التي حظيت بها حركة بوعزة الهبري، فقد اجتمعت عليه فضلا عن قبيلة غياثة، التسول والبرانس والحياينة وبنو راين و اولاد بوريمة وايت سغروشن...[37]

وكان السلطان لا ينتظر إلا الفرصة المواتية للخروج لهذا المتمرد، وممارسة سلطته المتنقلة على هذه المناطق، وهكذا أمر بتجهيز أفراك وانطلقت الحركة السلطانية للبحث عن بوعزة الهبري في شتنبر 1874، وورد الى علم المحلة السلطانية من طرف المخبرين أنه موجود عند ايت سغروشن فانطلقوا إليه، لكن الحركة لقيت مقاومة شديدة من طرف رجال المنطقة، وفجأة علمت المحلة أنه موجود عند هوارة واد مسون قرب تازة، وكان قد دخل الهبري الى السوق ليقول للناس: "**أنا هو بوعزة الهبري، لست خائفا من سلطانكم الجديد المعسكر الآن مع بعض الجنود قرب تازة. فمن حيث الجنود فإني أتوفر على عدد أكثر منه، أخرجهم وقتما شئت**"[38]، فلما قدمت عليه المحلة هرب وفر ليلا وترك من الأمتعة والمواشي الشيء الكثير، وتمزقت الجيوش التي كانت معه، لكن سرعان ما تم القبض عليه وجيء به حقيرا دليلا، فشهر وطيف به على جمل، ثم وجه به سجينا إلى فاس وبقي فيه إلى أن انتقل الى مراكش فمات في الطريق حسب ما ورد عند ابن زيدان والناصري[39].

5. العيطة كوثيقة شفهية شاهدة على الحركات السلطانية زمن الحسن الأول.

ما يثير الانتباه في تاريخ المغرب الضارب في القدم هو الحضور القوي لروح الاحتفالية والأهازيج والغناء، فلم يتخل المغاربة عن طابع الفرجة والاحتفال، كما كانت السلطة المخزنية حريصة في عهود متعاقبة على أن تخلق أسباب الفرح الجماعي في المناسبات و الأعراس وحتى في الحركات السلطانية.

تجدر الاشارة إلى ان المولى الحسن كانت له ثقافة شعبية واسعة، واهتم بالأغاني الأندلسية والعيطة وغيرهما، فعندما يقرب وصول الموكب السلطاني لمخيم المحلة تصطف الخيول صفين، وأصحاب الموسيقى أمام أفراك[40]،

---

[36] المرجع نفسه، ص. 405.

[37] الإتحاف، ابن زيدان، ج. 2، م س، ص. 153.

[38] الحركات السلطانية، أرنو لويس، م س، ص. 37.

[39] البوادي المغربية، المودن، م س، ص. 410.

[40] العز والصولة في معالم نظم الدولة، ابن زيدان، الجزء1، م س، ص. 236.

ويصدح المطربون في مخيمهم بالنغمات الأندلسية الى وقت صلاة العشاء، ثم بعد أداء فريضتها يشرع الطبالون في قرع طبولهم والنفخ في مزاميرهم، ثم يتلوهم الأشياخ، ثم قاص الأزلية، ولا يتخلف أحد من ذلك في ليلة من الليالي مدة الحركة.[41]

وقد أدمج المولى الحسن غناء العيطة في فضاء اهتمامه الموسيقي الشخصي والرسمي، سواء في منتزهاته أو في أعراسه العائلية أو في حركاته السلطانية، فكان يسير مختالا راقصا على صوت الغيطات والطبول[42]، ويمكن لهذا المتن الشفوي أن يمنحنا من المعطيات والمؤشرات ما قد يكون التاريخ المكتوب جردنا منه. وقصيدة " سيدي حسن " تحديدا[43]، والتي تندرج ضمن الغناء العيطي الحصباوي شاهدة على تاريخ الحركات السلطانية زمنئذ، ومما جاء فيها:

ازمران ازمران

أش تكولو في السلطان

شريفي سيدي حسن

آ الخوا دوي

آزمران آزمران

ياك احبق وبلعمان

شريفي سيدي حسن

حسن آ حسن

ما تموتشي حتى يسبقوك العديان

حتى يسبقوك العديان

---

[41] نفسه، ص. 238.

[42] على عتبات المغرب الحديث، فردريك وايسجربر، م س، ص. 80.

[43] غناء العيطة: الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب، حسن نجمي، الجزء الأول، دار توبقال للنشر، د. م، د. ت، ص. 161.

...

جابوني جابوني

ما جابونيش باحزارة

ناضت المحلة من تادلا

شكت لبولعوان

كولو لأمو علاش كتبكي

كولو لاختو علاش تشالي في الرياض

ذاك الحايك المنشور

دارتو علامة في الدشور

ضربة على ضربة من بولكشور

حتى لرياض سيدي قدور

...

مالك يا عين السبع جيتي في مركب عالي

ما صابوا ليك الهايجات دخالي

ركبت يا الفحل

ناضت المحلة من الصخيرات

شكت لبلاد جبالة

جبالة يا جبالة

ياك خنيفرة حتى هوما رجالا[44]

جاءت القصيدة لتبرز تراثا غنائيا محكيا صور سلطانا يتنقل عبر المجال في حركاته المتعددة، فقد تجسد في أذهان مغاربة الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أن الحسن الأول هو سلطان جوال أمضى مدة حكمه على صهوة حصانه، فهذا الطابع الترحالي الذي ميزه لم يكن مبالغا فيه، بل له من الأدلة الشيء الكثير سواء الروايات الأدبية أو الشفوية.

ختاما يمكن القول إن عصر الحسن الأول هو عصر الحركة الذهبي بامتياز، إذ خلاله اكتملت عناصر قوتها و فاعليتها، تنظيما وتجهيزا وأداء، بالرغم من كونها قد استمرت على نهجها المعهود، فكان في كل هذه الحملات يقوم بإخضاع القبائل الثائرة ضد سلطة المخزن ويعود بواجب بيت المال المفروض عليها، وينجح في تقليم أظافر معارضيه، رغم ما تتطلبه من عناء السفر والتنظيم وكذا الصعوبات والمخاطر التي تعترض الحركة السلطانية.

[44] غناء العيطة، نجمي، م س، ص. 161 . 162.

لائحة المصادر والمراجع:

"le régime des Investissement au Maroc", Emanuel Lamy, **dans revue économique franco- suisse**, n°4, 1953.

-**العـــز والصولة في معالم نظـم الدولـــة**، عبدالرحمن بن زيدان، الجـزء1، المطبعـة الملكيـــة، الربـــاط، 1961.

ـ **دراسات في تاريخ المغرب**، جرمان عياش، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، الطبعة الأولى، 1986.

– **إتحاف الناس بجمال حاضرة مكناس**، عبد الرحمان ابن زيدان، الجزء 2، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ، القاهرة، الطبعة 1، 2008.

– **بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، السبتي عبدالأحد، دار توبقـال للنشـر، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى، 2009.

– **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**، ثريا برادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1997.

– **البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل ايناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، المودن عبدالرحمن، منشورات كلية الاداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1995.

– "الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان 1889م " نموذجا"، حصول مراد، **مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية**، العدد 6، أكتوبر 2016.

-**المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873 . 1894 م**، معريش محمد العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت . لبنان، الطبعة 1، 1989.

- **على عتبة المغرب الحديث**، ترجمة عبدالرحيم حزل، منشورات دار الأمان، الرباط، الطبعة الثانية، 2011.

- **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830ـ1912**، الشابي مصطفى، الجزء 1-2، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008.

- **زمن المحلات السلطانية: الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و 1912م**، أرنو لويس، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002.

- **المغرب عبر التاريخ**، ابراهيم حركات، الجزء 3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1994.

- **غناء العيطة: الشعر الشفوي والموسيقى التقليدية في المغرب**، نجمي حسن، الجزء الأول، دار توبقال للنشر، د . م، د . ت.